## المحاضرة الأولى:
## مدخل الى علم المناهج.

يصعب تحديد بدايات اهتمام الانسان بمناهج التفكير العلمي، فقد كان **ارسطو** من السباقين لذلك، ثم بادر فلاسفة العرب المسلمين واخذوا بالتجربة والملاحظة وطوروا علوم الطبيعة، والكيمياء، والصيدلة، والرياضيات، والفلك، والتاريخ، والجغرافيا، وعلم الاجتماع، وذلك خلال النصف الثاني من القرن الثامن إلى النصف الثاني من القرن الحادي عشر. وبذلك تأسس علم المناهج بشكل واضح، حيث ظهر بعدها كعلم مستقل له أسسه ومبادئه المعممة على شتى العلوم ومختلف ميادين البحث، ومنذ ذلك الحين انصرف اهتمام الكثير من العلماء الى دراسة هذا العلم وتحليله وبيان كيفيات تطبيقه وأهم ما يميّز هذا العلم ان كل العلوم تبقى وثيقة الصلة به، وذلك لأنه المحدد الاول لمدى علميه أي معرفه من المعارف، وعليه فكل العلوم بما فيها العلوم الإنسانية ترقى بعلميتها كلما نجحت في تطبيق المناهج العلمية فيها.

وبعد ذلك جاء **فرانسيس بيكون** واعاد صياغة المنهج التجريبي الذي طوره العرب والمسلمون ورفع لواء منهج تجديدي يعتمد على الحواس والتجريب، ثم ظهر عدد من الفلاسفة والعلماء الذين طوروا علم المناهج مثل **ديكارت** و**كانت** و**هيغل** و**كلود برنار** و**دوركايم** وغيرهم...

### أولا: تعريف علم المناهج:

أ- **تعريف العلم**: العلم(**Science**) يعتبر واحدا من النشاطات البشرية التي لعبت ادوارا مهمه ومختلفة عبر مراحل تطور البشرية، وبالتالي فهو جهد انساني عقلي منظم وفق منهج محدد في البحث يشتمل على خطوات وطرائق محدده، ويؤدي الى معرفه عن الكون والنفس والمجتمع، يمكن توظيفها في تطوير انماط الحياة وحل مشكلاتها. فالعلم إذا هو فرع من فروع المعرفة، وهو عباره عن المعرفة المنسقة التي تنشا عن الملاحظة والدراسة والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة واسس واصولي ما تم دراسته. وفي هذا الصدد يرى (**كونانت Conant**) بأن العلم هو: سلسله من تصورات ذهنيه ومشروعات تصوريه مترابطة ومتواصلة هي نتاج لعمليتي الملاحظة والتجريب. كما يرى (**كير لينجر Ker linger**): ان العلم يعرف بوظيفته الأساسية المتمثلة في التوصل الى تعميمات بصوره قوانين أو نظريات تنبثق عنها اهداف فرعيه تتلخص في وصف الظواهر وتفسيرها، وضبط المتغيرات للتوصل الى علاقات محدده بينها، ثم التنبؤ بالظواهر والاحداث لدرجه مقبولة من الدقة.

ب- **تعريف المنهج:** المنهج في اللغة هو الطريق الواضح المستقيم، الذي يفضي بصحيح السير فيه الى غاية مقصودة بكل سهولة ويسر، ونقول نهج نهجا يعني اتخذ منهاجا أو طريقا للوصول الى غاية معينة. ولفظة منهج يقابلها في اللغة الإنجليزية كلمة method، وبالفرنسية كلمة méthode وهي تعني الطريقة الصحيحة.

والمنهج اصطلاحا هو الطريق أو الأسلوب الذي يراد به تجسيد أسلوب منظم ومثمر، ملتزم بالانتقال من المشكلة الى حلها ومن المقدمات الى الغايات، أو هو طريقة تحقيق الغاية أو الهدف أو الطريق المحدد لتنظيم الجهد والنشاط.

كما يمكن تعريفه بالمعنى المستعمل اليوم بأنه يعني: الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة.

**ت- تعريف علم المناهج:**

ومما سبق وبتركيب المصطلحين معا نحصل على مصطلح **علم المناهج** (بالإنجليزية Methodologyوبالفرنسية Méthodologie) ويقصد بعلم المناهج: ذلك العلم الذي يهتم بدراسة المناهج المطبقة في البحوث العلمية. أو هو الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول الى الحقيقة. ويرجع استعمال مصطلح علم المناهج الى الفيلسوف **(كانت)** الذي قسم المنطق الى قسمين هما مذهب المبادئ الذي موضوعه شروط المعرفة الصحيحة، وعلم المناهج الذي يحدد الشكل العام لكل علم والطريقة التي بها تكوّن أي علم من العلوم المختلفة.

ومن خلال ما سبق يمكن القول ان علم المناهج هو عباره عن ذلك العلم الذي يبين لنا مجموعه القواعد والقوانين التي توضح لنا الخطأ والصواب في خطوات وطرق البحث عن الحقيقة، وقد اخذ صفه العلم لأنه يحتوي على مبادئ مشتركه بين كافة العلوم اي ان النتائج المتوصل اليها تقبل التعميم، كما انها تتصل بالتجريد.

فعلم المناهج هو العلم الذي يبحث في مناهج البحث العلمي والطرق العلمية التي يكتشفها ويستخدمها العلماء والباحثون من اجل الوصول الى الحقيقة، ومن هنا نصل الى ان علم المناهج هو العلم الدارس والباحث للمناهج العلمية المختلفة.

وفي الأخير يمكن القول بأن **المنهج العلمي** هو عبارة عن قواعد بسيطة ومؤكده إذا رعاها الباحث مراعاة دقيقه كان في مأمن من ان يعتبر ما هو صواب بأنه خطا، او هو بيان القواعد والارشادات التي ينبغي ان نتبعها لكي نستخدم ملكاتنا العقلية على الوجه الاكمل.

**ثانيا: تصنيفات المناهج العلمية.**

اختلف الفلاسفة وعلماء المناهج حول تصنيف علم المناهج فبرزت جمله من التصنيفات التقليدية والحديثة وهذا ما سنتناوله فيما:

**أ- التصنيفات التقليدية لمناهج البحث العلمي:**

نذكر من بين التصنيفات التقليدية للمناهج العلمية ما يلي:

1. **المنهج التحليلي والمنهج التركيبي**: إذا كان المنهج التحليلي الذي يسمى أيضا منهج الاختراع يستهدف الكشف عن الحقيقة، فإن المنهج التركيبي او التأليفي فيقوم بتركيب وتأليف الحقائق التي تم اكتشافها او اختراعها بواسطة المنهج التحليلي، وذلك بهدف تعليمها ونشرها. غير أن ما يعاب على هذا التصنيف أنه ناقص حيث أنه يتحدث عن الافكار فقط، ولا يشمل القوانين والظواهر، كما انه لا يصلح لكافة فروع المعرفة.

2. **المنهج التلقائي والمنهج العقلي التأملي**: المنهج التلقائي هو المنهج الذي يسير فيه العقل سيرا طبيعيا نحو المعرفة او الحقيقة دون تحديد سابق لأساليب وأصول وقواعد منظمه. اما المنهج العقلي التأملي فهو ذلك المنهج الذي يسير فيه العقل والفكر في نطاق أصول وقواعد منظمة ومرتبة من اجل اكتشاف الحقيقة او الحصول على المعرفة.

الجدير بالذكر أن هذا التصنيف منتقد لأنه تحدث عن طرق ووسائل الحصول على المعرفة والشروط العقلية العلمية، وليس على مناهج البحث العلمي كمناهج لها اصول وقواعد وقوانين.

**ب- التصنيفات الحديثة لمناهج البحث العلمي.**

من بين التصنيفات الحديثة في مجال علم المناهج نذكر ما يلي:

**1-تصنيف ويتني**: يقسم (**ويثني Withney**) المناهج الى: المنهج الوصفي، المنهج التاريخي، المنهج التجريبي، المنهج الفلسفي، البحث التنبئي، البحث الاجتماعي، البحث الابداعي.
الملاحظ ان هذا التصنيف يخلط بين المنهج والبحث فالبحث الاجتماعي مثلا ليس منهجا وانما هو من انواع البحوث وهذا البحث يحتاج الى منهج في اعداده.

**2-تصنيف (ماركيز Marquis)**نظم ماركيز مناهج البحث العلمي على النحو التالي المنهج الانتربولوجي، المنهج الفلسفي، منهج دراسة حالة، المنهج التاريخي، منهج المسح، المنهج التجريبي. لقد اعتبر هذا التقسيم منهج دراسة الحالة، ومنهج المسح، منهجين اساسيين لكن هما في الاصل منهجين فرعيين تابعين الى المنهج الوصفي.

**3-تصنيف جود و سكيتس(Good/Scates)** رتب هذان الفقيهان مناهج البحث العلمي كما يلي: المنهج التاريخي، المنهج الوصفي، منهج المسح الوصفي، المنهج التجريبي، منهج دراسة حاله والدراسات الاكلينيكية، منهج دراسة النمو والتطور والوراثة.
الملاحظ ان الفقيهان وقعا في نفس التقسيم الذي اعتمده التقسيم السابق فيما يخص منهج المسح ومنهج دراسة حاله واعتبارهم منهجين.

الجدير بالذكر أن كل هذه التصنيفات قد بالغ اصحابها في تحديد مناهج البحث العلمي حيث أقحموا بينها بعض انواع البحوث وطرق الحصول على المعرفة والثقافة وكذلك بعض اجزاء المناهج الأصلية.

ويمكن القول إن هناك مناهج أصلية متفق عليها وهي: المنهج الاستدلالي، التاريخي، التجريبي، والمنهج الجدلي. ومناهج فرعية: لم يتم الاتفاق على أنها اصلية ومنها المنهج الوصفي، المنهج التحليلي، المنهج الاحصائي، المنهج المقارن وغيرها...

**ثالثا: مدى إمكانية تطبيق المنهج العلمي في العلوم الإنسانية.**

**أ- صعوبات اخضاع العلوم الإنسانية لقواعد المنهج العلمي:**

يطرح البعض اشكالية اخضاع العلوم الإنسانية لقواعد المنهج العلمي. بمعنى ما مدى علمية العلوم الإنسانية بالمعنى الدقيق للعلم، ففي السابق لم يتقبل العلماء تطبيق المناهج العلمية في

مجال العلوم الإنسانية، فقد كان البعض ينظر الى هذه العلوم بانها ليست علوما كما هو الحال بالنسبة للعلوم الطبيعية، الّا ان هذا الامر من جهة اخرى يطرح خصوصيه العلوم الإنسانية وتعقد ظواهرها وعدم تجانسها وعدم ثباتها وصعوبة استخدام المنهج التجريبي فيها بالإضافة الى ضعف الموضوعية في مجال الدراسات الإنسانية نظرا لاتصالها بالإنسان موضوع دراسة وفيما يلي توضيح لهذه الصعوبات:

**1-تعقيد الظواهر الإنسانية**: تتعلق الظاهرة الإنسانية بعناصر متعددة ومعقده مثل عناصر الجغرافية والاقتصاد والسياسة والثقافة بالإضافة الى المعتقدات والعادات والاعراف من خلال كل ذلك يجد الباحث نفسه في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية امام تنوع كبير ومتغيرات كثيره تتداخل والظاهرة الإنسانية ويزيدها تعقيدا وإذا كان من خصائص العلم هو السببية والتعميم بالنسبة كنتائج التي تنتج من نفس الاسباب فان الامر بالنسبة للعلوم الإنسانية معقد جدا لدرجه اننا نجد صعوبة كبيره في تحديد هذه الاسباب بالكامل.

**2-**عدم **تجانس الظاهرة الإنسانية:** يقوم الباحث على فرضيه التجانس او فرضيه وحدة الطبيعة والظواهر الطبيعية نتيجة تشابه بعضها حيث يمكن تقسيمها الى فئات متجانسة واستخدام القوانين التي تحكم كل فئة على حدا لكن الظواهر السلوكية ظواهر فرديه ويصعب تكرارها ومن ثم من الصعب ان تحصل على تعميمات.

**3-ديناميكية الظواهر السلوكية**: نتيجة لسرعه تغير الظاهرة الإنسانية والسلوكية، فان الباحث قد يجد نفسه في الوقت الذي يدرس فيه الظاهرة السلوكية الإنسانية انه يدرس الظاهرة من الناحية التاريخية وليس دراستها في الوقت الراهن لان ثم تتغير حدث للظاهرة المدروسة.

**4-عدم القدرة على استخدام التجريب في مجال الظاهرة الإنسانية**: إذا كانت التجربة من ركائز البحث العلمي فإنها في مجال العلوم الإنسانية لا ما كان لها فالظاهرة الإنسانية ظاهره سلوكيه لا تستطيع اخضاعها للتجريب فهي ظاهره معنويه غير ملموسه وقد بدا الباحثون في مجال علم النفس محاوله استخدام التجريب الدراسات النفسية الّا ان ذلك يبقى محدودا جدا.

5-**صعوبة التقيد بضوابط الموضوعية في مجال الدراسات الإنسانية**: ان الموضوعية هي من خصائص العلم والبحث العلمي وقد يحاول الباحث في مجال العلوم الإنسانية ان يتقيد بضوابط الموضوعية الّا انه يجد نفسه احيانا في اتجاه فكري معين وقد تجعل الباحث يوصف بانه متحيز الى تيار معين مثل التيار الاشتراكي او الليبرالي او غيره. لذلك فإن دراسة الباحث الاجتماعي لظاهره انسانية معينه تجعله يسعى لتحقيق نتائج في البحث تتوافق مع معتقداته وذاتيته اي مع عواطفه واحاسيسه وغير ذلك، في حين ان الامر في مجال العلوم الطبيعية يجعل من الظاهرة المدروسة ظاهره ماديه موجوده خارج وعي وفكر الانسان وهنا يجد نفسه يتعامل معها بكل حياديه ومن خلال كل ما سبق نلاحظ ان الظاهرة الإنسانية هي ظاهره معقده وصعب التعامل معها من خلال ذلك اعتبر بعض العلماء ان العلوم الإنسانية لا يمكن ان نطبق عليها المنهج

العلمي الذي يتميز بالتجريد والعموم والوصول الى نتائج نستطيع تعميمها، ومن ثم فقد اعتبرها البعض بانها لا ترقى الى درجه العلم، والاعتقاد بعدم امكانيه تطبيق المناهج العلمية عليها.

**ب- خلاصة مسعى العلماء لتطبيق المنهج العلمي على العلوم الإنسانية:**

وبالرغم من تلك الصعوبات سالفة الذكر حاول بعض العلماء نقل المنهج التجريبي من مجال الظاهرة الطبيعية الى دراسة الظاهرة الإنسانية، وقد قوبل هذا المسعى بالتأييد من طرف الكثير من العلماء الذين اعتقدوا ان هناك امكانيه التجريب على الظاهرة الإنسانية، الّا ان المسعى جوبه بالكثير من الاعتراض من قبل علماء اخرين. لكن رغم ذلك يمكن التأكيد على ان بعض العلوم الإنسانية والاجتماعية قد تمكنت من الاستفادة من الدراسة العلمية التجريبية مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، علم اللغة، وغيرها. كما ان بعض العلماء أصبحوا يتحدثون عن معنى خاص للدراسة العلمية في مجال العلوم الإنسانية، وعن معنى خاص للموضوعية فيها في إطار خصائص ومميزات الدراسة الإنسانية، غير ان ما ينبغي التأكيد عليه هو ان اغلب المختصين في الدراسات الإنسانية أصبحوا مقتنعين بأن العلوم الإنسانية مختلفة تماما عن العلوم الطبيعية، ليس فقط من الناحية الموضوعية وانما كذلك من ناحية المنهج.